دراسات نفسية (مج٥ ، ع١ ، يناير ١٩٩٥ ، ص ص ١٠٧-١٣٩)

دلالة أعراض فصام البارانويا

« دراسة في التحليل النفسي واللغة »

د. عبد الله السيد عسكر

قسم علم النفس - كلية الآداب

جامعة الزقازيق

يعد الذهان من الاضطرابات الشائعة التي شغلت الأوساط الطبية والنفسية . ولقد شغل الفكر التحليلي لما يقرب من الأربعين عاماً في العهد الفرويدي القديم ، حتى أقر بعدم فعالية التحليل النفسي في علاج الذهان ، إلى أن جاء جاك لاكان ، المحلل النفسي الشهير ، ليعيد قراءة خطاب التحليل النفسي الفرويدي ، ولينتهي إلى صياغة جديدة لهذا العهد ، ويتقدم بخطى واثقة نحو علاج الذهان بالتحليل النفسي .

وهذه دراسة لحالة فصام بارانويدي ، يحاول الباحث من خلالها إلقاء الضوء على الأعراض البرانويدية ، منذ بدأ الفكر التحليلي الفرويدي وحتى آخر ماوصلت إليه كشوف التحليل النفسي نظرياً ، لنجد أنفسنا في قلب اللغة وما يحدثه اضطراب البناء اللغوي من اضطراب في الشخصية ؛ حيث يكون الخلاص ذهاناً أو عصاباً ، هذا الاضطراب الذي يتمثل في عدم قدرة المريض الذهاني على استخدام الرمز في رحلته لتحقيق رغبته كمجاز لنقص كينونته ، حين تتمزق الأنا كدال ، وتغيب الذات كمدلول ، حيث الارتهان الأكبر للاستعارة الأبوية .

مقدمة :

في محاولة للكشف عن طبيعة مرض البارانويا ، انصب اهتمام فرويد ١٩١١ ، على ما أسماه عقدة الأب وأخيولة الرغبة كأبرز مايميز حالة الرئيس شريبر Schreber ، كما ربط ، بعلاقة وثيقة وربما دائمة ، بين أخيولة رغبة من الجنسية المثلية ، وهذا الشكل الخاص الذي تتخذه البارانويا ، ذلك مادفعه إلى

Paranoid Schizophrenic Syndrome : A Psychoanalytical Study of the Patient's Language.

اختزال البارانويا إلى كونها دفاعاً ضد الجنسية المثلية ، أو على حد قوله : إن كل « الأنواع الرئيسية » المألوفة للبارانويا يمكن اعتبارها جميعاً بمثابة دحوض لقضية واحدة : أنا (الرجل) أحبه هو (الرجل) وأنها فى واقع الأمر تستنفذ كل الأشكال الممكنة التى يمكن أن يتخذها الدحض » (٤:٦٢٨-٦٢٩) ، ولذا يكون الدفاع الرئيسى ضد هذه القضية هو (أ) هذاءات الاضطهاد ، (ب) الهوس العشقى (الإيروتومانيا)[١] ، (جـ) هذاءات الغيرة .

ولذا ، فبجانب الميول الجنسية المثلية عند شريبر ، فلقد انتظم خوفه من أن عداءه للأب سوف يواجه بالخصاء ، ولهذا فقد دافع باتجاه أنثوى سلبى تجاه الأب وبدلائه ، الله ... والدكتور المعالج فلخسج .

ولقد عزى فرويد تكوين الأعراض البرانويدية إلى التثبيت على المرحلة النرجسية من نمو الليبدو والذى يدفع إلى الكبت ، وحيثما يكون التثبيت عميقاً تكون عودة المكبوت أو شدة الطفح الليبيدى ، كما يحدث فى حالات الجنون الباكر (الفصام) والبارانويا .

كما ناقش فرويد النظرة التحليلية الثاقبة لكارل يونج ، حيث استطاع الأخير « أن يتبين أن الهذاءات » والستيريوتيبات[٢] (بمعنى : النمط السلوكى المتصلب) الحركية التى تظهر عند مرضى الجنون المبكر هى متخلفات من الاستثمارات الموضوعاتية السابقة ، يتشبث بها هؤلاء المرضى فى إصرار، ولكن هذه المحاولة للشفاء (التى يخطئها الملاحظون فيحسبونها المرض ذاته) لا تستعين كما هو الشأن فى البارانويا بميكانيزم الإسقاط ، ولكنها تستعين بالميكانيزم الهلوسى (الهستيرى) . تلك خاصية من أعظم الخصائص الفارقة بين الجنون المبكر والبارانويا » (٤ : ٦٤٥) .

أما عن الخاصية الثانية من الخصائص الفارقة بين الفصام والبارانويا وفقاً لفرويد ، فهى أن النكوص فى الفصام يكون أعمق حيث التخلى التام عن حب الموضوع ، وابتعاث الشبقية الذاتية الطفلية ، بينما فى البارانويا يكون النكوص بمثابة ترميم أو إعادة البناء ، ومن هنا فنقطة التثبيت فى الفصام تكون أبعد إلى الوراء مما هى عليه فى البارانويا ؛ ففى البارانويا يكون استخدام ميكانيزم الإسقاط عاملاً على إعادة البناء مما يجعل المريض يجاهد كيما لا يخلط بين عالم اللاشعور وعالم الواقع (٤) .

---

(١) Erotomania

(٢) Stereotype

ولقد ظلت المفاهيم الفرويدية مسيطرة على الفكر التحليلى ، وظلت الجنسية المثلية الكامنة والتثبيت على المرحلة الشرجية هما حجر الزاوية فى تشخيص البارانويا ، ولذا يقول فرنزى Ferenczi ، ١٩١٢ ، « أن فى العملية المرضية المسماة بالبارانويا ، تلعب الجنسية المثلية الدور الأعظم ، وأنه ربما لا تعد البارانويا شيئاً على الإطلاق أكثر من كونها قناعاً للجنسية المثلية » (١٠:١٢٧) .

ولقد أدى انفتاح التحليل النفسى على الجانب البيولوجى من الجنسية الثنائية ، وكيفية اختيار العصاب ، إلى ولوج فرنزى داخل هذا النظام البيولوجى ، ولذا - وفقاً لفرنزى - فإن ذوى التثبيت الليبيدى الشرجى ينمون أعراض البارانويا للتعامل مع الجنسية المثلية ، حيث يتم النكوص إلى الشبقية الذاتية[٣] باستدعاء المكبوت مع إعادة تركيز الليبدو للإعلاء ، ومن ثم يرفض - تماماً - موضوع الحب الذكرى . هذا ما أكده فرويد ، ١٩٢٣ ؛ حيث اعتبر العدوان دفاعاً ضد الجنسية المثلية اللاشعورية ، وأن الجنسية المثلية الصريحة تعد دفاعاً ضد العدوان اللاشعورى (١١:٤٣) .

كما وازن كارل أبراهام Abraham ، ١٩٢٤ ، موضوع الحب البارانويدى مع البراز الذى لا يستطيع التخلص منه ، معتبراً أن هذا الجزء من موضوع الحب جزء مستدمج (٨).

إلا أن ميلانى كلاين Klein ، ١٩٤٦، قد نسبت دوراً هاماً للسادية فى إحداث البارانويا ؛ حيث تكون القوى السادومازوشية[٤] مسقطة على موضوعات تكون أكثر تهديداً ، حيث يكون مصدراً شديداً من مصادر القلق قد ظهر ، ومن شأنه أن يقود إلى انقسام مع الواقع . وفى هذا الوضع البارانويدى يأتى انقسام الأنا نتيجة لظهور دفعات ليبيدية هدامة ، ولذا فإن البارانويا ، وفقاً لميلانى كلاين ، تعود إلى مرحلة ظهور القلق الاضطهادى من النمو الطفلى ، ولم تلق بالاً لدور الجنسية المثلية فى التآلف البرانوى ، أو البارانويا الذهانية (١٣) .

ولقد أشار أوتو فينخل ، ١٩٤٥ ، إلى أنه فى البارانويا « يكون انتشار القوى السيكلوجية مواتياً ، بحيث يسمح بتغليف قاطع للعملية الباثولوجية (المرضية) : فعلاقة المريض بالواقع تبدو منحطمة فى نقطة واحدة فحسب ، ويتم ملء هذا الفراغ بالنسق الهذيانى . وعملية التنظيم فى نسق ذاتها ، وإن كانت أعظم شدة مما هى عليه كدفاع فى العصاب القهرى » (٥:٨٨١) .

---

(٣) Autoerotism

(٤) Sadomasochism

إلا أننا نشير إلى أن هذا الانسلاخ البارانويدى عن الإنكار الشامل للواقع المميز للفصام ، وانتظام الاضطهاد نحو موضوع بعينه مع تماسك فى الشخصية لا يخرجه من دائرة الذهان ، حيث تتدهور العلاقة - جزئياً - مع عالم الموضوعات ، ونصطدم - دائماً - بلغة خاصة تميز أعراض البارانويا عن الأذهنة الأخرى ، فى الوقت الذى تأتلف فيه لغة البارانويا مع إشارات فصامية وهوسية واكتئابية .

وعلى العموم ، وقبل أن نختم هذا العهد القديم من التحليل النفسى ، نشير إلى العرض الذى قدمه جون فروسك Frosch ، ١٩٨١ ، فى مناقشته دور الجنسية المثلية اللاشعورية فى التآلف البارانويدى ، فلقد لخص أن الجنسية المثلية اللاشعورية تعد مكونات ليبيدية كانت فى إطار الإنكار والرفض ، ثم تم إسقاطها على صورة مطابقة لموضوع طفلى ، لذا فإن الموضوع الذاتى ، على هذا النحو ، يصبح مكروهاً ، ومضطهداً ، وغير فعال ، وتكون طبيعة الاضطهاد بمثابة نوبة سادومازوشية أستية يتم إدراكها على نحو من الخزى والإهانة . ويتأتى ذلك من خلال خبرات الخزى الواقعية على أيدى الموضوعات الطفلية من نفس الجنس ؛ بمعنى صورة الأب بالنسبة للصبى ، وصورة الأم بالنسبة للصبية ، ومثل هذه الخبرة تأخذ مكانها فى مراحل النمو الجنسى قبل أن تتقرر هوية التوحد الجنسى ، حيث تحدث الصدمة باكتشاف حقيقة أنهم أصبحوا خارج المرحلة الأستية مع تطور الأنا والليبدو (١٢: ٦١٠-٦١١) .

ومن الملاحظ على آراء العهد الفرويدى القديم أنه يسير على الخط المرسوم للبارانويا فى إطار النمو الليبيدى إبان المرحلة الشرجية، وتظل صورة الموضوع المستدخل هى الباعث الرئيسى للدفاع ضد تهديد الذات ، حيث تجد الأنا أنها فى مواجهة موضوع طيب أو موضوع شرير ، حيث يتم استدخال الطيب واستخراج أو إسقاط الشرير . وفى حالة الدفاع الثانية يلعب الاضطهاد دوره ، حيث يكون الحوار أننى أكرهك لأنك تمثل مايكرهنى فى نفسى أو جزء من نفسى (موضوع) مكروه ، حيث تلعب خبرة الشعور بالتهديد دورها ، فثمة شئ يهدد أمانى ، ويحقق انقسامى وغزوى ، وهذا ما لا يريده البرانويدى ، ومع غياب الحماية النرجسية للذات ، وفقاً لغياب الحماية النرجسية الواقعية ، يكون الانهيار البارنويدى .

وعلى الرغم من هذه المحاولة التقاربية فينومينولوجيا ، حيث إرهاصات ميلاد الآخر الأكبر ، الذى سيعيد بناء العهد القديم للتحليل النفسى ، تظل الأفكار الفرويدية بمثابة حجر الزاوية أو نافذة الضوء التى يطل

منها چاك لاكان على دهاليز الفكر الفرويدى معيداً على نحو بنائى - تفكيكى الصرح الفرويدى فى ثوبه الجديد ، كما سنعرضه كالآتى :

چاك لاكان والعهد التحليلى الجديد :

فى تطور لاحق ، لم يوافق چاك لاكان Jaques Lacan على البناء النظرى التقليدى للتحليل النفسى عام ١٩٥٣ ، وذهب فى أعماله الباكرة إلى وضع أربع مراحل ، عاد إليها أخيراً ، كنظم إدراكية فى التطور البشرى ، وهذه المراحل هى :

١- المرحلة الاستهلالية للنرجسية الأوائلية ، حيث اللاتمايز واللاتحديد ، وتكون صورة الذات فيها متجزئة .

٢- مرحلة التخيل أو مرحلة المرآة التى تكون فيما قبل ظهور القدرة اللفظية وتكوين الرمز ، حيث تتكون أنا كاذبة أو هلامية ، تتمايز عن الحقيقة بجانب الموضوع ، وتتسم هذه الأنا بكونها مغتربة .

٣- مرحلة عابرة أو مؤقتة ينمو فيها الطفل ضد الحرمان .

٤- المرحلة الرمزية ، حيث يتموضع فيها اكتساب الطفل للغة ، ويحدث فيها انقسام بين العالم الداخلى والعالم الخارجى بين (أنا - I) واهمة والعالم الخارجى ، حيث يلتمس الطفل المشاركة فى العملية الثقافية للأب والنظام الرمزى ، مبتعداً عن رغبته الأصلية (الأم - الطبيعة) ، حيث يرغب فى أن يكون رغبة الأم ، ويكون القضيب هو الدال الأولى أو الأصلى ، حيث يكون التواصل اللفظى تشكيلة لا متناهية من الدوال التى تبعد به كثيراً عن رغبته الأصلية ذات المدلول (١٥) .

ومن هذا المنطلق استنطق لاكان منظمة الهى الفرويدية ، وذهب إلى أن الهى تتحدث ، وأخرجها لاكان من منظومة المعطى البيولوچى الأولى الذى كان يعنى عند فرويد « كل ماهو موروث بالجبلة » : فالمعطى الأولى عند لاكان هو اللغة ، ذلك الآخر الأكبر الذى يحمل الثقافة والقانون ، والمعضلة عنده هى : كيف تتكون الذات لتحل محل الآخر الذى يسبقها فى الوجود ؟ حيث يكون التجاوز من خلال الرغبة التى تمثل مجاز النقص فى الكينونة .

فعلى الرغم من عزو فرويد العصاب أو المرض النفسى إلى فشل الأنا فى مواجهة مطالب الهى ذات الحفزات الليبيدية المستهجنة ، نظراً لعدم قدرة الأنا على تحمل ضغوط الهى ، وافتقارها لآليات الدفاع السوية ، حين يكون عليها أن تستسلم للنكوص ، فى المراحل الطفلية الباكرة ، خلاصاً من الموقف المحبط ، فلقد ذهب چاك لاكان إلى أبعد من ذلك ، حيث رأى أن

الشخص مرهون بقوة حاجاته وقصور إشباعاته ولاتتضح هذه العملية إلا عبر اللغة ، حيث يكون هناك الرمز المميز للاستعمال البشرى للغة والذى يمثل $\frac{\text{دال}^{5}\ \text{أنا لغوى (S)}}{\text{مدلول}^{6}\ \text{ذات لغوية (S)}}$ ، وحيث يكون التهديد الطبيعى صادراً عن حاجات الافتقار وممثلاً لنقص حاد فى الكينونة - لا يكون إلا عبر إدراك هذا النقص من خلال اللغة ، حيث تكون الرغبة فى ... أن أكون (حيث يحدد المدلول بروز الشخص وفى الوقت نفسه ارتهانه) ، ولن أكون إلا عبر أن يُسد ذلك النقص المتضاعف عبر اللغة ، عندها يكون ما أسماه جاك لاكان بالطلب[7] ، والذى يكون دالاً للرغبة ، وبواسطته ينفتح الماضى بأكمله حتى أقصى أعماق الطفولة (١٦) ولكن ، « إذا كانت الرغبة هى مدلول الطلب فهى تعمل بدورها كدال مجازى لحاجة أساسية ذات طبيعة أنطولوجية خلقت نتيجة نقص فى الكينونة ملازم للكائن البشرى ، هذا النقص الجذرى والنهائى الذى أسسه فيه الانسلاخ عن صدر أمه هو ثمن الدخول فى الحياة » (٢:٦٧) .

ومع هذا الاستنطاق اللاكانى للهى الفرويدية وولوجه فى قلب اللغة ، أخذت العمليات اللاشعورية الفرويدية من قبيل التكثيف والنقل مفاهيم لغوية ، حيث ظهرت مفاهيم الاستعارة والمجاز ، وأصبح العرض العصابى معبراً عن نفسه بلغة الاستعارة بين معظم تكوينات اللاشعور .

وإذا ماكانت العلاقة بين الدال الأصلى والدال الاستعارى ذات دلالة واضحة شبه عالمية أو عامة ، كما فى اللغة الشعرية أو الأدبية ، فإن هذه العلاقة تكون خاصة فى اللاوعى ، فليس ثمة تشابه أو دلالة واضحة بين لغة العرض والدلالات العامة ، فغالباً مانرى أنه ليس من تشابه فى لغة اللاوعى إلا بالنسبة للفرد ، حيث تتعلق بأحداث خاصة وطارئة ، ولكنها لاتمحى ، فيجتمع ذلك الدال الاستعمارى مع دال آخر من اللغة المستعملة، وغالباً ماتكون هذه العلاقة فريدة من نوعها ، حيث تتمركز الاستعارة فى نقطة محددة ينتج فيها المعنى من اللامعنى (١٥).

ولما كان موضوع دراستنا هو دراسة دلالة الأعراض لمريض فصام البارانويا ، فإنه من المهم أن نقف على طبيعة الخطاب الذهانى وتكوين الأعراض وفقاً لجاك لاكان ، على النحو التالى :

مستويات الدال :

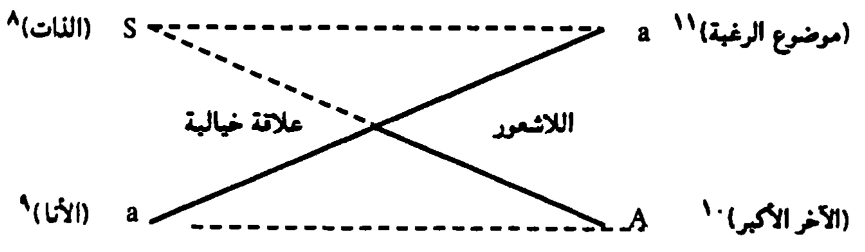
حدد لاكان مستويات ثلاثة للدال ، هى: الواقعى ، والرمزى ، والخيالى ، حيث تبقى الغلبة للدال الواقعى ، أو مايسميه لاكان (المستحيل) . وتتكون الأنا من خليط من

(٥) Signifier
(٦) Signified
(٧) Demand

الاندماجات والتوحدات الخيالية ، حيث يكون الاستلاب الخيالى هو المميز لمرحلة المرآة ، وتكون هناك بارانويا موجهة إلى صورة الشخص فى المرآة التى تمثل ، فى الوقت نفسه ، صورة لآخر ، تلك الصورة التى ترهنه ، وما عليه إلا أن يتطابق معها ويندمج فيها ويتعين بها ، وتمثل الرغبة هنا فى كونها رغبة فى آخر ، هذا المستوى الخيالى الذى يمثل الطريق الشرعى إلى المستوى الرمزى ، حيث ينحصر المستوى الواقعى بين الخيالى والرمزى ، ويظل المستوى الخيالى مجالاً للوهم والتغير والتنوع الطارئ . وتبدأ الحياة النفسية بالمستوى الخيالى ، حيث يكون وهم القدرة المطلقة ، ويكون الموضوع - (الأم - الثدى) بمثابة تكوين نفسى خاص يتم وضعه خيالياً تحت طلب الرغبة ، وتتمثل الأم كموضوع خيالى دال تتكون معه دوال أخرى موازية ، حيث يكون الواقع الخاص بالذات واقعاً خيالياً ، كما يعالج به الشخص نقصه أو حاجاته الملحة للوجود ، حيث يسيطر القلق كلما غاب هذا الموضوع . وبواسطة هذا الدال الخيالى يتكون الدال الرمزى ، ويظل الدال الواقعى ماتنشده الذات فى كينونتها (سراباً) مستحيلاً ، وهذا مايتمثل - أيضاً - فى فلسفة التفكيك عند چاك دريدا فى الموت ، حيث تكون اللغة معطى أولى ممثلة للميتة الكبرى ، ويكون موت الشخص موتاً فى قلب اللغة ، حيث تستعيد اللغة أحد حروفها المنتصبة ، ويستعيد الكون أحد مكوناته المنبثقة بفعل ذلك الموت : « إن الموت ينخط فى الاسم العلم ، ولكن لكى يتفرق فيه على الفور ، ليدس فيه بنية نحوية غريبة : الرد باسم واحد عن كثيرين » (١:٢١٣) .

أما المستوى الرمزى فهو المستوى الذى يخلق وجوداً فى الواقع دون أن يخلق الواقع ذاته ، وهو مجال النظام والقانون ، أو خطاب اللغة الأساسى ، أو الأب الرمزى ، دال الآخر الأكبر ، الذى يمثل حرفاً من حروف اللغة أكثر منه مفهوماً (١٥) .

وفى إطار الصباغات الجديدة للاشعور ، وضع چاك لاكان المخطط التالى فى الشكل رقم (١)



شكل رقم (١)

(٨) Es

(٩) Ego

(١٠) (Other) Auter

(١١) (Other) Autre

ليوضح اغتراب موضوع الرغبة فى ارتباطها الديالكتيكى فى العلاقات بين - ذاتية ، ويركز - على نحو خاص - على التقاطعات المتقلبة أو المتذبذبة بين النظام الخيالى للموضوع المرغوب والأنا ، وبين النظام الرمزى الذى يمثل مكان الذات والآخر الأكبر المعبر عن اللغة أو اللاشعور .

وتشير S إلى الموضوع اللاشعورى للكلام (كموضع لموضوع الرغبة) والآخر الأكبر A هو الإدماج اللغوى نفسه ، أما حرف a الصغرى فإنه يمثل الأنا وموضوع رغبتها المتخيل بشكل تعاقبى (١٧:١-٥) .

وعليه ، وكما سيتضح لاحقاً ، تنحصر العلاقات اللغوية الذهانية بين الأنا وموضوع رغبتها المتخيل ، حيث تظل عندمستوى العلاقات الخيالية دون القدرة على استخدام الرمز ، نظراً لارتهان الاستعارة الأبوية أو الآخر الأكبر ، وتظل الذات فى هذه الحالة عاطلة عن التعبير الرمزى فى إطار الاستخدام اللغوى الذى يعبد إنتاج الواقع الذى تتجاوز من خلاله ذلك الآخر الأكبر الذى يمثل المعطى الأولى ، والذى يسبقها فى الوجود .

الأوديبية/الخصاء وعلاقتهما بالذهان :

ليست الأوديبية - وفقاً لجاك لاكان - عقدة على مستوى الصراع الجنسى بين الطفل ووالديه ، إنما هى موقف حيوى ، يتم فيها بناء الاستعارة الأبوية أو النظام الرمزى المتمثل فى اسم الأب الممثل للقانون ، هذا القانون الذى أسس المجتمع البشرى ، حيث استند لاكان إلى إصدارات كلود ليفى شتراوس الأنثروبولوچى البنيوى الشهير وإشارته إلى أن منع إتيان المحارم هو ما أقام المجتمع البشرى ، وأن هذا النظام استلزم ظهور أساطير التحريم التى بزغت فى لاشعور الأفراد دون الوعى بها (١٦:٧) .

ولذا ، فإن قواعد التحريم التى تبدأ عملها تنفيذياً فى الموقف الأوديبى هى التى تؤدى الدور الحاسم فى تأسيس الكائن الثقافى. وتتميز هذه المرحلة بثلاثة عناصر ، هى : القانون - المثال - الوعد ، والأب هنا هو الأب اللغوى أو الأب الطبيعى الممثل للغة والثقافة والقانون ، والذى يتم استدماجه كدال قضيبى ، حيث يغيب المفهوم البيولوچى للعضو الذكرى ليأخذ مكانه دال استعارى عن اسم الأب ، فعبر تدخلات الحرمانات الوالدية ، والتى تتمثل فى الأوامر المصاغة كلامياً ، يتشكل الرمز الأوديبى ، حيث يدخل الوسيط أو البعد الثالث والذى لايمكن رفعه (رمزية القانون) ، والذى تتشكل وفقاً لأنساقه بنية اللغة والذات واللاشعور ، وأشد هذه الحرمانات شدة ، والتى تتيح الوثبة داخل الذات ، هى

منع الاتصال المحارمى بالأم ، أو على نحو أدق، الانفصال الذى يخدم بناء النظام الرمزى للذات ، وبهذا تنتصر الحكمة الثقافية على العلاقات البيولوجية ، ويكون تنظيم الروابط الزواجية أكثر وضوحاً مع النظام اللغوى (١٥) .

ولقد اقترح چاك لاكان صيغة جبرية تسمح بفهم رمزيته ، حيث تتحقق الاستعارة عبر البديل فى علاقة الدال بالمدلول ، أو باستعاضة الدال الأصلى بدال استعارى ، حيث يكون العضو الذكرى هو أفضل دال فى نوعه ، وهو بالتالى يولد الرغبة ، والرغبة الأخيرة التى يتضمنها هذا الدال هى العودة إلى ثدى الأم بطريقة التماثل مع العضو الذكرى (٢:٦٧) .

ولقد صاغ لاكان الاستعارة الأبوية الممثلة للنظام الرمزى فى المرحلة الأوديبية والباعثة على تأسيس الذات الطفلية على النحو التالى :

$$\frac{\text{اسم - ال - أب}}{\text{رغبة الأم}} \quad \frac{\text{رغبة الأم}}{\text{مدلول عن الموضوع}} \quad \text{- اسم - ال - أب} \quad \frac{\text{صفر}}{\text{القضيب}}$$

حيث ترغب الذات الطفلية - بصفة نهائية - أن تكون العضو الذكرى (موضوع رغبة الأم) ، وهذا يعنى أنه ، لكى يضمن الطفل لنفسه حضور أمه وعنايتها العاطفية الكاملة ، يبحث فى أن يكون حينما تكون إشباعاتها ، ويبحث فى أن يجعل نفسه - بصفة عامة - وجوداً أساسياً بالنسبة لها . وهذه الرغبة العاطفية تصطبغ بالإثارة الجنسية، حيث يلعب التخيل دوره ، هذا التخيل الذى يكون ، بأسلوب مشوش ، إدراكاً للعلاقة الجنسية بين الوالدين ، تلك الأخيلة تكون منتظمة حول العضو الذكرى الرمزى ، وحول الفكرة العامة عن الأب ، ومع توسط الأب فإنه يسم الطفل بعوز أساسى للوجود ، حيث تكون رغبته الأساسية هى مجاز النقص فى كينونته ، ويدفع الخصاء ، الذى يسببه تدخل الأب ، الطفل إلى إنكار رغبته مطلقة القدرة ، ويكتسب قانون التقليد. وعبر الاستعارة الأبوية ، فإن الطفل يمنح رغبته اسماً ولكنه ينكرها ، وتندفع رغبته الحقيقية وصياغاته التخييلية العديدة - عادة - إلى اللاشعور ، وهنا يكون الكبت الأولى الذى يحدد ظهور نمو اللغة ، والذى يوضع رمزية وقانونية الوجود الواقعى (٢٠:٨٧) .

ولذا ، فإن قبول الطفل للخصاء الرمزى من جانب الأب هو مايفصله عن العلاقة

الطبيعية بالأم ، ويؤسسه دالاً داخل النظام الرمزى باحثاً عن نقص كينونته عبر ذلك الآخر الأبوى الثقافى ، الذى يمثل القانون والمثال والوعد ، ولسوف يجد الدال الأصلى للذات : الاسم والمكان الذى يقرر أن يشغلهما فى التآلف الأسرى .

أما إذا أنكرت الأم كلام الأب الذى يوظف كقانون ، فإنها تمنع الطفل عن الانضمام إلى الاستعارة الأبوية التى تجعله قادراً على تمثيل السلطة التى تساعده على الانفصال عن الأم ، ولذا يظل الطفل خاضعاً لنظام الأم أو النظام الطبيعى ، حيث يرتهن اسم الأب ، ويكون العرض الذهانى بحثاً خيالياً عن الرغبة التى لم تتمثل فى الأنظمة الرمزية ، حيث يكون الأسلوب المباشر أو التعبير بالأشياء أهم مايسم العرض الذهانى (٢٠:٢٣٥) .

وهكذا ، يتمثل الانتقال الإنسانى الفريد من الدال الطبيعى (البدن - الأشياء) إلى الدال الثقافى (اللغة - الأثر) ، حيث الانتقال من اللاذات إلى الذات ، مع الاستخدام الفعال للطبيعة لتخدم الوجود الرمزى ، حيث يوظف الجنس فى المجتمع المتحضر لخدمة التواصل الإنسانى اللسانى والبدوى ، حيث السياسة والاقتصاد ، ولخدمة التواصل البيولوجى - أيضاً - بتحقيق الخصوبة والإنجاب . وهنا تتراجع الوظيفة الطبيعية أمام الوظائف الثقافية ، حيث تكون الأولى فى خدمة الثانية ، ويظل الرمز نقطة التواصل التى تؤكد الصيرورة بين مادية البدن ومعنوية الذات ، وهنا يحدث اغتراب الرغبة نتيجة لظهور ونمو اللغة التى تعد الوسيلة الأساسية للأنسنة ، والتى ماتلبث أن تشكل نظاماً قائماً داخل الذات تعمل عمل الأخر فى السيطرة على مقدرات الأنا التى تتوارى خلف اللغة ، وحيثما يكون اضطراب هذا القانون الثقافى الذى لايفى بمتطلبات الإشباع والحماية، تكون العودة الفصامية ، حيث يكون اسم الأب المرهون ، بحثاً عن هوية خارج النظام الرمزى العام مستخدماً - على نحو مرضى - للنظام الرمزى فى بناء نظام لغوى خاص فى هوية نرجسية فريدة ، حيث يهذى المريض بأعراض لاتمثل دلالات عامة أو ثقافية، بل مجرد كلام تعود دلالته إلى ذاته حيث يكون الارتهان ، حين ينبثق الكلام عن ذات الشخص فى حين تقيم اللغة علاقة بين الشخص والواقع ، فحينما لاتكون اللغة غير مكتملة البناء ، أى غير قادرة على الوفاء بالوظيفة الأبوية - كقانون ، ومثال ووعد ، فإنها لاتفى بإكمال النقص فى كينونة الشخص، وتفقد اللغة وظيفتها ، ويحدث الاغتراب عن اللغة متمثلاً فى الفصام ، حيث

ينشئ الفصامى نظاماً خاصاً من البناء الكلامى ، محاولاً إيجاد لغة خاصة ، حيث تفشل الأنا فى خلق نظام توليفى بين الطبيعة/ الثقافة ، أو تفشل فى استخدام النظام اللغوى لإعادة إنتاج الواقع (٣) .

الارتهان والكبت :

يحدث النهان - وفقاً لجاك لاكان - مع فشل النظام الرمزى عند الشخص ، حيث لاتكون هناك إمكانية لحدوث الكبت الذى يميز العصاب ، ولذا فلقد رأى لاكان أن مأأسماه الارتهان[١٢] هو المسئول عن النهان ، حيث يفشل الشخص - ببساطة - فى استعمال الكبت لتجاوز الأوديبية (٢٠:٢٣٠) .

ولقد شبه (سيرج لوكلير Leclaire ١٩٥٧ ، الارتهان والكبت بقطعة من النسيج بها قطع أو شق ، وخرق ، يمثل القطع الذى يمكن حياكته بالكبت ، أما الخرق الذى يحتاج إلى ترقيع أو رفة فيمثل الارتهان ، ولذا فالعناصر التى تم رهنها أو عزلها لا يمكنها إعادة الظهور ، حيث لا يستطيع الذهانى القيام بالتقدير الحقيقى لمبدأ الرمزية : حيث يكون أحد الدوال موضوعاً مكان الآخر والذى يكون لا ، حيث تغيب القدرة على الحكم ، ويأخذ الارتهان مكانه قبل أية إمكانية لظهور الكبت ؛ بمعنى : قبل ولوج الكائن البشرى المرحلة الرمزية التى ينتقل فيها من العلاقة الثنائية طفل - أم ، إلى العلاقة الثلاثية ، حين يتوسط الأب الممثل للقانون هذه العلاقة ، وحيثما يكون الارتهان فى قلب العلاقة الثنائية إبان سيطرة المستوى الخيالى ، حيث تتشكل الصورة على نحو طبيعى كدوال بلا مدلول ، أو دوال لاتتميز عن مدلولاتها ، عندها يكون الخطاب النهانى غير معترف بالكبت الذى تتشكل عناصره على نحو رمزى من جهة ، ويعامل الأسماء كالأشياء من جهة ثانية . وببساطة اضطراب فى استخدام الدال الرمزى ، حيث تعيد اللغة إنتاج الواقع (١٨، ٢٠) .

وعلى هذا النحو تكمن مهمة المحلل النفسى - وفقاً لجاك لاكان - فى تحرير «الأنا» الحقيقى من « الأنا » التمثيلى ؛ وذلك بفك رموز الدلالات التى تكون هذا الأنا الأخير ، وفى ذلك يقول : « لكى نفك ارتهان الشخص لابد من فهم معنى كلامه ، وهذا لايكون إلا فى العلاقة التى تربط « أنا » الشخص بـ « أنا » كلامه » (٢:٦٦ ، ١٤) .

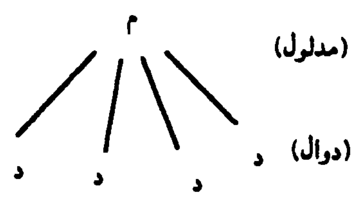
---

(١٢) Foreclosure

الاستعمال الذهانى للرمز :

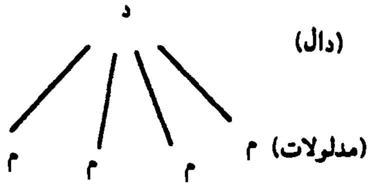
نظراً لفشل الذات فى ولوج النظام الرمزى العام ، وارتهان الدال الرئيسى (اسم الأب) ، فإن الذهان يتسم بتغير جذرى فى استعمال الرمز اللغوى . ولقد ميز لوكلير Leclaire ، ١٩٥٨ ، بين الفصام والبارانويا كأذهنة .

فبالنسبة للفصامى ، يمكن لكل الدوال أن توجد لتدل على مفهوم واحد ، فالمدلول لايتجه إلى أى دال بطريقة ثابتة أو مستقرة ، حيث تحدث تبدلات عديدة للدوال تشير إلى كون المدلول محتملاً أو ممكناً ، حيثما يسكن الفصامى فى عالم متعدد الرموز، كما يبدو فى الشكل رقم (٢) .



شكل رقم(٢)

أما بالنسبة لحالة الهذاء أو البارانويا يصبح بالعكس تماماً ، حيث يمكن لدال واحد أن يشير إلى مدلولات مختلفة ، ولا يشير الدال إلى مفهوم محدد ، كما فى الشكل رقم (٣) .



شكل رقم (٣)

ويكون موضوع الاضطهاد قابلاً للتبادل على نحو متعارض ، حيث يسكن الموضوع فى عالم متخيل . ولقد عرضت لوميير ، ١٩٧٠ ، لنمط التواصل الذهانى الذى قدمه سيرج لوكلير مع تعليقات دى ويلهنز De Waelhens، على النحو المبين فى الشكل رقم (٤) .

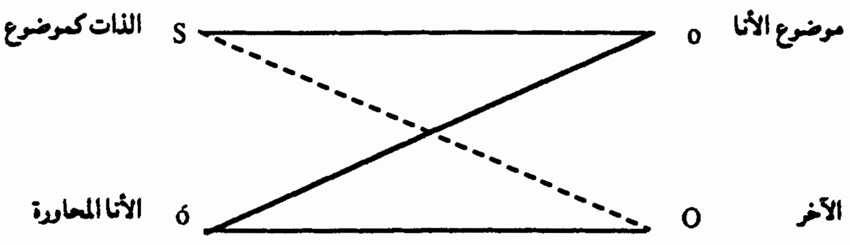
حيث تمثل S و O الموضوع والآخر (مفهومى التواصل أنا - أنت) ، وتمثل O موضوع الأنا ، وتمثل 6 الأنا المحاورة ، ولسوف تكون مستدعاة ، حيث لاتكون الأنا هى الموضوع ، وحيث تكون أقرب إلى القناع[١٣] الذى يمثل التبدى أو الظهور فى دور أكثر من كونها خبرة ذاتية .

وتتموضع الأنا فى الجانب المتخيل ، بينما يتموضع الموضوع أو الذات فى الجانب الرمزى ، وتكون الأنا مكاناً للتواجدات المغتربة للذات ، ولذلك فإن o --- 6 تكون المحاور المتخيلة ، بينما يمثل الخط المتقطع الرابط بين S , O المحاور الرمزية ، وهى لذلك تربط بين خبرتين ذاتيتين يتعذر احتزالها ، حيث تمثل ضرباً من الاتصال المباشر بدون أى وسيط ، كما هو الحال فى أشكال الاتحاد الصوفى[١٤] .

---

(١٣) Persona

(١٤) Mysticism



شكل رقم (١)

ويصنع الإنسان العادى من خطابه دلالة على كينونته الخاصة ، وإذا ماتحدث إلى الأشياء فإنه يميزها عن نفسه ، وعندما يتحدث إلى نفسه فإنه يتحدث إلى ثمة أنا ، ويقصد أن يذيب هذه الأنا المتوحدة إلى خبرته الذاتية ، والتى تكون مستغرقة عبر اللغة .

أما فى حالة الهذاء فلا يوجد مركز محدد لكينونته ، ولا يميز بين من يتحدث إليه وبين خبرته الذاتية ، ويتحدث إلى نفسه معتقداً بأنه يتحدث إلى شئ يتوسط أشياء ، وينظر إلى نفسه كما لو كان آخر ينظر إليه . ويفتقد الهذائى - أيضاً - إلى كل عمليات التعالى فى علاقته بالموضوعات ، ولا ينتمى خطابه إلى خبرة ذاتية ، والأنا التى يصفها لاتحتل نفس المكانة مع خبرته الذاتية ، إنها تكون ثمة آخر .. بمثابة موضوع ما . وباختصار ، يكون الارتباط بين o, S ، وكذلك يوجد تمزق بين O --- ό بين الآخر والأنا المحاورة ، ويظل السبيل الوحيد المتبقى للاتصال هو بين o --- ό بين موضع الأنا الخيالى والأنا المحاورة ، حيث يكون التقابل المزدوج .

وبمجرد أن يفقد المريض الهذائى الدليل الرمزى لذاتيته ، فإنه يميل بسهولة إلى الاندماج مع أى آخر ، حيث يكون هناك تقابل واضح بين أنا وأنت ، ذلك التقابل بين ذات وذات أخرى أقل وضوحاً .

أما الفصامى فليس لديه أنا ، ويكون متوحداً مع لا أحد ، ويسكن نفسه كذاتية جذرية مشاركاً فى الجوهر الإلهى أو المقدس .

غير أن الهذائى يستخدم الدال المباشر ، حيث يفتقد إلى الوسيط الرمزى ، فكل شئ يكون بمثابة تخيل ، ويكون الخيال فورياً ، وليس هناك وعى لوصف هذا الخيال ، ويكون الواقع متخيلاً أو مجرد رسم خيالى لواقع ، ويغيب التمييز بين الدال والمدلول ، حيث تكون المحاور المتخيلة هى صاحبة الامتياز (٢٠:٢٣٥-٢٣٨) .

عرض الحالة :

فى العرض الموجز للحالة التالية نحاول أن نلقى الضوء على طبيعة الاضطراب الذهانى وفقاً لما تقدم عرضه تطورياً . ولقد تمت مقابلة المريض ، منذ مايو ١٩٨٧ حتى يونيه ١٩٩٠ ، على فترات متقطعة ، حيث أجريت عشر مقابلات مستمرة للمريض بمعدل مقابلة يومية محددة الوقت ، فضلاً عن عمل مقابلات مع الأسرة والأشخاص الذين كان المريض يستدعيهم فى خطابه ، وكان المريض يتردد تلقائياً بعد المقابلات العشر الأولى ولكن بشكل غير منتظم ، كما سيرد فى التقرير التالى :

«م» ٢٤ سنة ، ذكر ، أعزب ، حاصل على بكالوريوس زراعة ، نشأ فى أحضان أسرة ريفية لأب يبلغ ٦٠ سنة ، مزارع من النوع المنطوى ، وأم تبلغ ٥٢ سنة ، ربة بيت ، كانت على درجة عالية من الحيوية والشباب ومن النوع المتسلط ، وهو الابن الثانى فى الترتيب بعد أخته التى تكبره بعامين ، متزوجة وربة منزل ، وتليه أخته الصغرى بعامين متزوجة وربة منزل ، وأخ رابع يصغره بخمسة أعوام بالدراسة المتوسطة .

بداية المرض :

بعد أن أنهى المريض التدريب الأولى بالقوات المسلحة كمجند برتبة ملازم احتياط ، بدأ يشعر بالاضطهاد تجاه زملائه وقادته مدعياً أنهم يكلفونه أعمالاً فوق طاقته ويحتقرونه ، وقد أشار إلى أنهم مدسوسون عليه من جانب زوج خالته (م) الذى يعمل فى المخابرات العسكرية (متقاعد) ، وادعى أنه السبب فى اضطهاد قادته له بسبب رفض المريض الزواج من ابنته ، كما جاء فى هذاء المريض أن « وزير الدفاع هو الذى سيطر عليه وأراد أن ينسيه حبيبته (ناهد) لأن زوجة وزير الدفاع على نفس الإسم ، ويريد الوزير تزويج حبيبته ناهد إلى ابن أخته » ، ثم انتقل المريض إلى اضطهاد رئيس الجمهورية مدعياً بأنه من اسرة الملك السابق فاروق ، وأن جده من الأسرة المالكة ، وكان يملك عشرة أفدنة، إلا أن عمدة القرية قد سيطر على أملاك جده ، وزوجه من ابنة أخيه .

واتسعت شبكة الاضطهاد فشملت كل أفراد الأسرة ، وبدأ فى الغياب عن المعسكر ، مما دفع الأب لإبلاغ الشرطة التى ساعدته على إدخال المريض مستشفى الصحة النفسية للقوات المسلحة بالقاهرة ، حيث استقر الأمر على تقرير العلاج الكهربائى ووصف أدوية الموديكيت - واستبلازين - حيث شخصت حالته (فصام بارانوى) واستمر لمدة أربعين يوماً حتى هدأت أعراضه الفصامية ، وظلت المشاعر الاضطهادية قائمة ، ولكنه احتفظ بتماسك الشخصية ، وعرض عليه والده - وفقاً لنصيحة أحد الناصحين - الزواج من

(الأنسة صفية) ابنة عمته (سيدة) ، ولكن رفضها المريض مدعياً بأنها مهتوكة الغشاء ، مما دفع الأب للإعراض عن الفكرة خشية أن يأخذ الناس كلام ابنه مأخذ الجد ، أما مريضنا فمتعلق بمحبوبته (ناهد) الذى يرتبط بها ارتباطاً عاطفياً قوياً من طرف واحد منذ سنوات مراهقته الأولى ، حيث قال : « عندما كنت أراها كان قلبى ينخلع من مكانه ، وأعتقد بأنها تحبنى » ، ولكنها لم تبادله أى شعور سوى النظر إليه بتعجب ، وكان قد أرسل إليها رسالة غرامية أثناء دراسته الجامعية ، ولكنها لم تعره أى التفات ، ولم ترد على رسالته ، وعلل ذلك بأن شخصاً ما كان قد سحب هذه الرسالة من البريد ، وعلى الرغم من ذلك ظل يسعى تجاهها دون جدوى .

ولقد أشار المريض بأنه بعد أن استقرت حالته المرضية قرر الذهاب إلى منزل حبيبته ، حيث قابل والدها فى المدينة القريبة من قريته، حيث تقطن أسرتها ، وبدون مقدمات عرفه بنفسه ، وكانت هناك صلة نسب بعيدة بين عائلة المريض وهذه الأسرة ، وكان الرجل على علم بمرضه ، وما كان عليه إلا أن استقبل المريض بحيطة وحذر مما هيأ للمريض بأنه يرحب به ، فطلب منه الزواج من (ناهد) ، ولكن الرجل رفض معللاً رفضه بأنها مازالت فى التعليم ، ولم يجد المريض حيلة لإقناع والدها فانصرف ، ولكنه تذكر أنه قد نسى جريدة يومية فى منزل حبيبته ، فعاد يسأل عن الجريدة التى لم يكن لها وجود ، فأخبره الرجل بأنه لم ينس شيئاً ، فطلب منه المريض (ربع جنيه) ثمن الجريدة ، ثم ضحك وانصرف.

ولقد عاد المريض إلى والده غاضباً ، طلب منه أن يذهب لخطبة (ناهد) ، ورفض والده ذلك ، فقام المريض بلطم والده على وجهه، مما دفع الأب وأعضاء أسرته إلى ربطه بالحبال ، وضربه ضرباً مبرحاً ، كان مصيره الذهاب إلى مستشفى الزقازيق الجامعى (قسم الصحة النفسية) ليقرروا له جلسات كهربية ، وتكرار العلاجات سابقة الذكر .

ولقد تغيرت سلوكيات المريض المعتادة ، فقل نشاطه الدينى عن سابقه ، وبدأ فى الانفتاح على الآخرين من أهل قريته وخاصة من يكبرونه ، وقد وجد منهم احتراماً كبيراً بعد أن قام بلطم أحد الرجال على وجهه لأنه عايره بالمرض ، ثم فرض المريض نفسه على بعض الأشخاص وقلت انطوائيته ، ولكن أصبحت هذاءاته موضعاً للسخرية من الآخرين، وبدأ فى تدخين السجائر بشراهة ، بمعدل ٤٠ سيجارة يومياً ، وكان يواصل علاجه الدوائى ، حيث كان يتدخل فى شرح أعراضه ، ويصف نفسه بأنه مريض بالفصام، وعلاجه هو الموديكيت وستيلازين وميلريل .

العلاقة بالباحث :

جاءت العلاقة بالمريض عبر الوالد الذى كنت على معرفة سابقة به ، فعرض الأب الحالة وطلب منى أن أساعده فى بعض الإرشادات العلاجية ، فطلبت من الأب أن يرسله إلىّ ، ولكن دون جدوى لمدة ثلاثة أشهر . ولقد أصر الأب على زيارته المنزلية ، ولكنى لم أوافق على ذلك .. وفجأة وبدون موعد سابق ، وصل المريض إلى مكتبى بدون صحبة أحد ، وطلب منى أن أسمعه فقط فهو ليس فى حاجة إلى مساعدة .

فطلبت منه أن يبدأ .. فسألنى من أين؟ فأجبته كما يحلو لك ، فقال : لقد قرأت كتاباً فى الطب النفسى وعلم النفس ، ولسوف أبدأ من صغرى (طفولته) ، حيث أشار إلى أنه ارتبط بوالده منذ السنة الرابعة أو الخامسة من عمره ، وكان مرتبطاً به حيث يتبعه أينما ذهب ، ولقد وجد منه تدليلاً كبيراً وملاذاً ، أما أمه فكانت على العكس من ذلك : «ابتعدت عنها لأنها قاسية ومجرمة .. شديدة .. هى وجدتى أم أبى ، وكانت شخصيتها مؤثرة على أبى وكنت أخاف من جدتى جداً».

وبتوجيه التحليل النفسى لمستدعيات العلاقة بالأم والجدة ، أشار المريض إلى أنه قدتم ختانه فى السنة الخامسة من عمره ، حيث قال : « إن منزلنا مجاور لمنزل عمى الذى تسكن فيه جدتى وابن عمى «سمير» وهو يكبرنى بسنة ونصف . . وجاء عمى .. وعلى فكرة عمى هذا مات منذ ٢٥ سنة ، المهم أخذنى معه وعرفت بأنهم يطاهرون (سمير) ، وكان أحد الحلاقين يمسك بموس كبير وعليه دم فشعرت بالخوف ولكننى لم أقاوم وربما يكون أغمى علىّ ولم أتذكر إلا الألم الناتج عن الجرح بعد ذلك .. » . وفى هذا السياق ، انتقل فجأة إلى القول بالمناسبة .. أحد زملاء ابن عمى (سمير) المعيد بالجامعة تقدم لخطبة (ناهد) وأظن أنها ستقبل .. وأنت (مشيراً إلى الباحث) .. سمعت أنك خطبت أمانى المعيدة بكليتكم وزميلة ناهد حبيبتى .. ثم ضحكات باهتة .

ولقد نشأت علاقة طرحية من جانب المريض على درجة من الاستبصار بعد أن وجد من يسمعه ويدعم حضوره وتشجعه على المضى فى المقابلات ، وفقاً لتوجيهات الباحث، ذلك ماكان يكلفه السفر من قريته التى تبعد عن مكتبى بخمسة وعشرين كيلو متراً ، ولقد بدأنا فى التساؤلات المتعلقة بحياته الجنسية ، فأشار إلى أنه لم يمارس أى سلوك جنسى سوى العادات السرية ، ولقد تأخر بلوغه حتى السابعة عشرة ، وقال ، لقد حفظنى الله ، ولم أعرف أنى بلغت إلا فى النوم وأنا فى السنة الثالثة الثانوية ، وكثيراً ماأحلم بالجنس ، ولكنى لا أستطيع أن أميز من التى أحلم معها . وفى الجامعة ، كنت أخاف من البنات، وعندما تجلس بجوارى أية واحدة فإنى أتجنبها

لأن ذلك قد يشغلنى عن الدرس .. أما حبى لناهد فهو حب طاهر .

تداعيات لاشعورية :

فى جلسة خامسة جاء المريض قبل موعده بساعة ، ولم يتأثر لرفض مقابلته قبل الموعد المحدد ، ولكنه أصر على أن أسمع منه مايأتى : قائلاً : صدق أو لا تصدق على كيفك ، « اصطحبنى ابن عمتى (مصطفى) الطالب بكلية الصيدلة مع شاب غريب عن أسرتنا - ولكنى لم أتذكر اسمه - كى نسرق منتجات زراعية من حقل يجاور حقلهم ، وهذه المنتجات قتة ، خيار .. ولعلمك أن زوج خالتى الضابط المتقاعد بالمخابرات هذا الذى رصد ١٠٠ جنيه مكافأة أو أجرة لهم حتى يأخذونى لنسرق القتة والخيار . . وذهبنا إلى الحقل .. وقام الآخرون بالسرقة ، ولكنى عندما وصلت إلى المزرعة وجدت أن الخيار مازال فى طور البراعم الأولى ، لدرجة أنه عندما نقطع ثمرة واحدة تطلع معها الشجرة نفسها .. وفضلت أن آكل من القتة ولا أحمل معى .. وفجأة ، ظهر لنا أحد الجيران الفلاحين ، اسمه (حسان) بن (غنى) - نسبة إلى أمه - ولاحظ أن أمه قد قطعت أصبعه (حسان) السبابة كى يخرج من الجيش ، وجاء وأمسك بنا .. وقام يلطمى على وجهى بيده ذات الإصبع المقطوعة ، أما ابن عمتى وصاحبه فلقد حملا القتة وهربا .. هذا ما حدث اليوم .

وفى التحقق من واقعية التداعيات ، اكتشف الباحث أنها لم تحدث على الإطلاق ، وإنما جاءت من نسيج خياله الخاص ، حيث كان انشغاله بهويته الجنسية .

الأحلام:

لم يبد المريض أية مقاومة لاستدعاء العناصر اللاشعورية ، ولكنه فيما يتعلق بالأحلام كان قد أشار فى البداية إلى أنه لا يحلم .. فسألته عن الكوابيس .. فقال .. كوابيس كثيرة .. وقام بسردها على النحو التالى :

أولاً : مرة وأنا نايم وكنت فى الإعدادية فى بيتنا .. شاهدت أمنا الغولة تحمل فى يدها كرباجاً ، وجاءت تضربنى ولكنى ناديت بأعلى صوتى المخنوق على أبى .. وجاء والدى وضربها عنى .. ثم استيقظت .

ثانياً : شاهدت طائرة حربية جاءت وضربت قنبلة فى الماسورة المشدود عليها أسلاك الكهرباء الواصلة إلى بيت ابن عمى (سمير) فكسرت الماسورة .. ثم جريت أنا ، ولكن شظية أصابتنى فى محاشمى (أعضائه الجنسية) ، وحسيت بألم ودم واستيقظت أتحسس نفسى وأنا خايف .

ثالثاً : وأنا فى السنة الرابعة فى الكلية رأيت أننى سقطت فى بحر .. وهذا البحر ليس به ماء .. وبه قطعة من الطين .. وشعرت

كأننى سأغرق .. ولاأستطيع الخروج لأن جسر البحر كان مبنياً بالأحجار ، وكلما حاولت الخروج فشلت وسقطت مرة ثانية ..

وفى جلسة لاحقة ، وبمساعدته على استدعاء أحلام أخرى ، أتى بالحلم التالى :

مرة وأنا نايم على فرن العيش بصالة بيتنا .. حلمت أن أمى جاية ناحيتى .. ومرة واحدة فى الظلام تغير وجهها إلى أمنا الغولة .. فخفت وناديت عليها .. ولكنها لم ترد وأخذت صورتها تتقلب حتى أدركت أنها أمى ...

فقلت له أفهم من ذلك أن أمك مسترجلة.

- فقال : تقصد لها قضيب .

- صمت ..

- لا .. المرأة ذات القضيب واحدة ثانية أقول لك عليها . . بس دا حلم . . مرة حلمت أن (سيدة) زوجة (حامد الفقير) لها قضيب طويل أشبه بقضيب الحمار وله حشفة مثل التى يقصونها لنا فى الطهور .. وهى تجلس أمام منزلهم وضع القرفصاء ، وأرى قضيبها متدلياً . . ثم جاء بضحكات باهتة ، وقال :

نسيت أقول لك أن ابن عمتى مصطفى الذى كان يسرق معى الخيار والقتة محلول (عاجز جنسياً) وأن أقرباءه كذلك .. أما الشاب الغريب فهو سليم لأنه (عبد الهادى) صائد الدبابات وخلى بالك .. أن ابن عمتى (سيدة) المجنن فى الثانوية العامة وساب لهم البيت وطفش بعد أن فشل علاجه النفسى .

وبعدين أمس حلمت أننى أضرب الحقن وأصبحت بارع وأعطيت جدتى حقنة .. لكن جدتى ميتة .. ضحكات باهتة .

وفى تطور لاحق ، ماتت أمه بسبب المرض ، فكانت مشاعره عادية ، ولم يتلق النبأ بأى وجدان ، بل كان متبلداً ، ولم تطارده مشاعر الحزن أو الفرح ، لكن أعراضه تحولت من الاضطهاد إلى الشعور بالعظمة ، فراح يقرأ أنباء الاكتشافات والاختراعات ويقول أنه صاحب هذا الاختراع .. « أنا تسلمت عمادة الكلية .. ووزارة الزراعة » .. ثم يضحك بضحكات عالية ، ويستعيد حالته الطبيعية . وكانت هذه الأعراض محببة إلى المقربين منه مماجعل رفاقه يدعمون فيه هذه الأعراض ، ولكنه احتفظ بتماسك شخصيته ، وأصبح يواظب على الصلاة ، ويستجيب لأوامر رؤسائه حين عين مشرفاً زراعياً فى قريته .

ولقد كانت أسرته على قدر كبير من التعاون ، حيث تمت مقابلة الوالد والوالدة والأخوة وأبناء عمومته وخاصة سمير ومصطفى اللذان استدعاهما للتأكد من

الأحداث التى أوردها فى سياق المقابلات ، وكان الأب يعزو مرض ابنه إلى القدر والنصيب ، ويدعو له بالشفاء ، وكان كثير البكاء ، ويشكو من أعراض الاكتئاب لخيبة أمله فى ابنه ، أما الأم فكانت على قدر من الحيوية والصراحة .. وتعزو مرض ابنها إلى أصحابه فى الجيش ، وكانت على قدر كبير من الاضطهاد للآخرين ، وخاصة أخوات زوجها .. وكانت من الحدة بحيث ترفض الإجابة على استفسارات خاصة بحياتها مع زوجها فى نظرات بارانويدية ، وتقول إنها المتحملة لمسئولية البيت وكل شئ ، وأن الأب (زوجها) بمثابة فلاح يجلس طول النهار فى الحقل ، ولا يستطيع التصرف فى أى شئ .. وكانت رغبة الأم أن يكون ابنها ضابطاً أو طبيباً ، ولكن أملها خاب فيه لالتحاقه بكلية الزراعة لظروف مجموعه .

وعبر هذه الرحلة التى لم تنته ، حقق المريض طرحاً جزئياً مع الباحث ، وأصبح أكثر استبصاراً بحالته ، وطلب منى أن أستخدم معه أساليب القياس النفسى التى يقرأ عنها فى الكتب مما هيأ لتطبيق اختبار تفهم الموضوع ، والذى سنعرضه لاحقاً .

دلالة مستدعيات المريض :

إن المشكلة المركزية لدى مريضنا هى عقدة الخصاء - تقاعس الأب - سيطرة الأم (المرأة بصفة عامة) ، فعالم الذكور من الأب إلى أقرانه من أبناء العم والعمة يدخلون فى إطار حلقة العجز ، وتتركز السيطرة فى عالم الإناث ، حتى أن لاشعوره يؤكد امتلاكهن للعضو الذكرى المتجاوز ، ويتأكد هنا ارتهان الاستعارة الأبوية ، حيث لاتصدق المعادلة الأوديبية اللاكانية ، حيث يغيب الدال الأصلى (القضيب) ، فوضع الاستعارة الأبوية كان على النحو التالى :

اسم - ال - أب / رغبة الأم	رغبة الأم / ؟؟	- اسم - ال - أب	مرهون / فراغ المدلول

فالإدراك الباكر لسيطرة عالم الإناث قد ترك أثره البالغ على المريض ، فمنذ بكورته ارتبط لسنوات ثلاث كاملة بالأم ، أو بالأحرى التصقت به الأم ، حيث حبست كل إمكانية لظهور القانون الثقافى والمثال والوعد ، ومع دخول الوالد ، كان بمثابة أم أخرى حيث التدليل الزائد ، فأخذ صورة المرأة الحانية ، أما الأم فظلت مالكة للقضيب وممثلة للقانون ، ومع اكتشافه لسيطرة جدته كان التأكيد على غياب الاستعارة الأبوية حيث التصق بها خوفاً، وأصبح جزءاً من الطبيعة الأنثوية دون إمكانية للولوج إلى النظام الرمزى ، مما دفعه

إلى اضطراب النظام اللغوى ، واستناده إلى المحاور الخيالية لتحقيق رغباته ..

ولقد عاش المريض فى صمت طويل مستخدماً السلطة الأمومية لتحقيق رغبة الأم على مستوى تعويضى ، حيث كانت المراحل الدراسية بمثابة البديل الحامى من عالم الذكور، فكان يسير وفقاً لإعجاب أمه وجدته اللتين يجدان فيه مثالاً جيداً للأدب والطاعة والتفوق (زى العين النعسانة بحسب وصف أمه) ، ولم يجد مجالاً للتوحد بالأب الفلاح ، ولكنه ذهب إلى كلية الزراعة ليواجه من جديد اللعب مع الأرض - الأم - الطبيعة ، فلم يشأ أن يكون فلاحاً يملك فأساً يضرب بها رحم الأرض .. حيث غابت الاستعارة الأبوية التى من شأنها أن تدعم ذكورته . ومع التحاقه بالقوات المسلحة ، عالم الجنس الذكرى الواحد، كان عليه أن يستخدم الاستعارة الأبوية ولكن هيهات ، وانحطم أمام هذه السلطة الذكرية ، حيث الفقدان الرئيسى لدور الأب (٦) .

ولقد أثارت أعراض المريض الأسباب الصادمة لمرضه النفسى بسهولة ، وكان يقبل بجهد بسيط المضمون الظاهر لكلامه الملفوظ من أجل الكشف عن اللاوعى المستور . فثمة أخرون ممثلون للقانون (زملاء وقادة) هم الذين سيقومون بدفعه إلى الفصام البارانوى فى صورة إسقاطية ، يغرس فيها ذلك الغريب (زوج خالته) ، والذى ينتمى - أيضاً - إلى عائلة الأم ، فهو مدلول عن آخر أمومى مسيطر ، فى الوقت الذى كان فيه فى حاجة ماسة للاستعارة الأبوية . . إلى القضيب ليلعب الدور الذكرى العدوانى فى إثبات جدارته فى جماعة القتال .. فعاد إلى استنهاض الذات لمحاولة استعادة ما كان قد ارتهن لتأكيد هويته الذكرية .

وتمثل أعراضه ضرباً من الدفاع والشكوى، الدفاع ضد الخصاء ، والشكوى لاكتشافه ضآلة مركزه الذكرى ومركز الرجال بالنسبة لعالم الإناث ، وحيثما كانت لديه التعبيرات المؤكدة لكون السيادة الذكرية كانت دائماً فى خدمة الأنثى ،فلقد تمت سيطرة الجد الأكبر لجدته (العمدة) على جده لأبيه ، وفرض عليه الزواج من ابنة أخيه بعد أن سلب أرضه (وهذا ما أكده والد المريض أيضاً) .

ولذا ، فإن رحلة الخصاء ضاربة بجذورها فى هذه الأسرة ، وبالتالى فعالم النساء قد سد الطريق أمام الولوج إلى القانون والإضافة إلى قائمة الذكور ، ولقد اقتلعت الإناث قضيبه لتبتلعه مستثمرة إياه فى عدوانيتها ، حيث افتقدت أناه للقوة والخصوبة ، وراح يفشل فى استخدام العلامة اللغوية أو الرمز $\frac{\text{الدال}}{\text{المدلول}}$ ، وقام بكبت الواقع ، ولم يجد الدعم المساند لرمزية ذاته ، ولم يحسم تفرده الخاص (١٤).

ولذا ، فلقد برزت العلاقة الخيالية بين أناه وموضوع خيالى عن الرغبة (راجع

الشكل رقم ١) تلك الرغبة الممثلة للأب . . مجرد أب خيالي صنعه ذهانه ، متمثلاً - أيضا - في أب مخصي .

ولكن ، دعنا نصل إلى المعنى الذى لم يستطع المريض الوصول إليه من دلالاته ، فلقد برزت أعراضه وأحلامه ومستدعياته على مستوى الدلالة ، ولكنها لم تستطع الوصول إلى المعنى لغياب النظام الرمزى .

أولاً : غياب القانون والمثال والوعد :

تشير الأعراض الأولى للمريض إلى وجود قوة تاريخية من السيطرة قد منعت أسرته من التمثل القانونى ، وحرمتها من الخصوبة الثقافية ، فأرض جده مغتصبة ، وجدته مسيطرة ، وأن أية سلطة ذكرية (زوج خالته الضابط - وزير الدفاع) يعملان لحساب الإناث ، ويغتصبان منه (ناهد) التى تمثل الثدى ، لأن ناهد زوجة وزير الدفاع تقرر أن تزوجها لابن أخت الوزير ، وكلها دراما تنسجها المرأة فى خيال المريض .

ثانيا : اضطراب الأوديب وحرمان المريض من الولوج إلى النظام الرمزى :

إن غياب الاستعارة الأبوية وارتهان اسم الأب يمثلان الغياب الأمثل للدال الأصلى (القضيب) الذى جاء من نصيب (الأم - المرأة) ، فلقد تجسدت رموزها فى آخر أكبر لغوى (أمنا الغولة) ، وهى المستعملة للسياط (حاملة القضيب) وظهورها كطائرة تقصف قضيب ابن العم ، وتدمى المريض أيضاً ، ثم امتلاكها الفعلى لقضيب (سيدة) الغريبة هى البديل لعمته (سيدة) المسيطرة، ثم دلالة الاسم العلم لمحبوبته (ناهد) ، ومايشير إليه الاسم من ضخامة الثدى الذى يمثل وفقاً للعامية المصرية ، المقلوب للعضو الذكرى ، وكيف أن رغبته لم تتحقق ، وظل رغبة أمه . ومع محاولته للتعبير عن الذات لم يستطع أن يستعمل الرمز ، إنما استعمل الخيال الهذائى فى السيطرة الإبداعية والاختراعات وضرب من العظمة الخيالى ، ذلك مايعود إلى ارتهان اسم الأب وفشله فى إعادة إنتاج اللغة بصورة رمزية ، حيث راح ينسب إبداعات الآخرين إليه ، وينسب إلى أناه تولية كبرى المناصب فى صورة دفاع ذهانى ضد ارتهان الدال اللغوى الرمزى الثقافى السلطوى المخصب للغة وللمرأة ، فى محاولة خيالية لاستعادة هذا الرمز .

والخصاء هو النتيجة الطبيعية لمثل هذه الحالات ، هذا الخصاء (غياب الدال الأصلى) لغياب الاستعارة الأبوية هو ما أحاله إلى أن يكون حيث تكون رغبة أمه فتطابق معها فى رغبتها فى امتلاك القضيب ، ولكنه لم يكن على مستوى الارتاكاس الجنسى المثلى اللاشعورى ، فلم يرد فى مستدعياته عناصر واضحة لكون اضطراب الدال الذكرى لديه أحاله

إلى التعبير اللسانى ، وتركزت كلماته على حاجته إلى الثدى وبدلاته ، فالثدى - هنا - ممثل لدال الأم ، وهو الدال الذى تم ابتلاعه فمياً ، حيث رهن لسانه ، وأربك لغته ، وارتسم الأب وراء ذلك الحائط الأمومى الطبيعى ، حيث ابتلعت الأم الدال الأصلى بأكمله .

وتمثل تداعياته الخيالية محاولة لامتلاك هذه الاستعارة فى محاولة لإيجاد الرمز عبر إنتاج اللغة ، ولكنه يعامل الأشياء كالأسماء (سرقة الخيار والقثاء) مرافقاً لابن عمته (مصطفى) الذى يصيبه الخصاء أيضاً ، أما الغريب فهو (عبد الهادى) صائد الدبابات ، وحسان ذو الإصبع المقطوعة ، شخصية فعلية وقصة إصبعه حقيقية ، ويكنى باسم أمه أيضاً ، قد استثمره المريض - خيالياً - لمحاولة خلق عالم كامل من الخصيان ، فليس وحده الذى تغيب لديه الدلالة إنما هو عالم كامل أصابته لعنة الأم ، وذلك ما يؤكد الشروح اللاكانية للذهان ، حين يشير دال واحد إلى مدلولات متعددة كوضع لغوى مميز للبرانويديين (راجع الشكل رقم ٣) .

ويستثنى زوج خالته والغريب (عبد الهادى - صائد الدبابات فى حرب أكتوبر) من الخصاء، وهم لذلك مضطهدون . ولقد حاول استعادة الرمز على المستوى اللاشعورى فى حلمه بقدرته على ضرب الإبر (إعطاء الحقن)، حيث يحاول جاهداً الدفاع ضد الخصاء، ويوجه الإبرة (القضيب الناشئ) إلى جدته (رمز السلطة الأمومية) ، ولكنه سريعاً ما يسخر من حلمه قائلاً « ولكن جدتى ميتة » فهو لم يستطع تحقيق الخصوبة الذاتية اللغوية ، وتحقيق الذات ، واستعادة الاستعارة الأبوية إلا من خلال الصراع مع الموتى هؤلاء الذين لا يتحدثون ، ويظل المحور الخيالى هو صاحب الامتياز فى خطابه الذهانى .

اختبار تفهم الموضوع ودلالات اخرى :

على الرغم من خصوبة المعطيات وثرائها ودقتها واقتصادها والتقاء وقائعها إلا أنه لكى تكتمل المعايير الإكلينيكية ، فى إطار التكامل وصولاً إلى التنبؤ ، فلقد آثر الباحث عرض استجابات المريض على اختبار تفهم الموضوع وتفسيرها (انظر ملحق الدراسة) ، ولقد أشارت هذه الاستجابات إلى الآتى :

الكشف عن دلائل لاشعورية على غياب الاستعارة الأبوية فى البطاقة 1 ، وغياب الصراع الأوديبى فى البطاقة 7BM ، وفشله فى استعمال الرمز للوصول إلى الدلالة ، حيث يعرف معنى خصائه وافتقاده إلى القانون والمثال والوعد أو الصورة الأبوية ، حيث ظل فى تبعية الأم مستخدماً للعلاقة الخيالية بين الأنا والموضوع المتمثل ، والتى تشكل علاقة هشة خارج قدرته على استخدام الرمز اللغوى، كما فى البطاقات 4 , 5 , 19 ، فتكون

النتيجة الطبيعية انعكاس المخاوف من المرأة وصورتها الشريرة فى البطاقة 5 ، وعجز الصورة الأبوية وافتقادها للقدرة على انتقاله من مستوى العلاقة المباشرة بالأم (العلاقة الطبيعية) إلى العلاقة بالأب التوسطية عبر اللغة (الثقافية) ، فلم يستطع إعادة إنتاج الواقع ، فجاءت إسقاطاته على مستوى الاستعارة والكناية ، ولكنها لا تفضى إلى دلالة مشتركة ، بل دلالة بالنسبة إلى مكونه الخيالى الخاص ، حيث يسكن عالم الخيال بعيداً عن الرمز .

وفى محاولات أولية يحاول المريض استعادة الدال النهائى لرغبة العقل الباطن : بمعنى رمزية القضيب الغائبة أو المرتهنة ، فى صورة العودة إلى ثدى الأم بطريقة التماثل مع القضيب ، كى تكون له تجربة اجتماعية ثقافية يعيشها على مستوى الواقع ، كما يحاول أن يدعم العلاقة العلاجية فى البطاقات 4 , 12M ، ومع اللغة (شكسبير) فى البطاقة ، فى محاولة لإقامة وصل لغوى بين الذات وعالم الآخر ، إلا أن أغلب علاقاته كانت على مستوى الوصل البدنى أو الطبيعى الذى ينتهى دوماً إلى الفصل ، وهذا مايوضحه غياب الحوار داخل القصص حيث يسود المونولوج بين أنا متخيل وآخر متخيل ، ويمثل غياب الديالوج إلى غياب العلاقة بين الدال والمدلول .

ولقد تمثلت الأنا المريضة فى خبرة الخصاء فى البطاقة 1 ، وكف الرغبة الجنسية فى البطاقة 2 ، وخصاء الأنا والموضوع فى البطاقة 7BM ، والجنسية الذاتية بين الأنا والموضوع المتخيل فى البطاقة 12M .

أما الأنا الراغبة فى الشفاء ، والتى تبحث عن رغبة العقل الباطن ، فلقد جاءت استعارية كما فى البطاقة 4 « مشهد تمثيلى للحب » بين شاب وشابة ، والجنسية المثلية الكامنة بين الآخر الأكبر (شكسبير) والذات مضطربة الهوية « رجل أو امرأة » فى البطاقة 10 ، وشخص عادى يأتى بفعل جنسى غير واضح المعالم ، ويغيب وعيه تجاه هذا الفعل فى البطاقة 13MF ، وفرد عادى ذو تقدير ذات نرجسى فى علاقة جنسية مثلية كامنة فى البطاقة 18BM .

ويشكل هذا الاستخدام الاستعارى للأنا العادية مآلاً تطورياً نحو الشفاء عبر عملية التحليل ، بغية أن ينفك ارتهان الاستعارة الأبوية ، ويملك الدال الثقافى ، ويشارك فى المجتمع على نحو رمزى ، فعلى الرغم من عيشه على مستوى النكرة ، فإن استخدامه لأدوات المعرفة لم يكن إلا على النحو المرضى - فلم يُعرف إلا من خلال ذلك المرض - طالما كان مغموراً فى عالم الأسوياء ، حيث الارتهان الأكبر للاستعارة الأبوية .

الخلاصة :

ألقت الحالة الضوء على اللغة الخاصة للذهانيين ، وفقاً لإسهامات جاك لاكان فى ميدان التحليل النفسى ، فعبر تحليل الخطاب اللغوى للمريض ، وأسلوبه فى استخدام الدال والمدلول ، أمكن الوقوف على الطبيعة المرضية لفصام البارانويا - الذى بدأ بتشتت الخطاب وتشعبه فى إطار الاضطهاد الشامل لكل من يمثل السلطة والفعالية من الذكور مع ضرب من انهيار تقدير الذات على نحو فصامى ، ليستقر الاضطهاد لعالم الذكور - قائلاً لنفسه إن ثمة شخص ما أو أشخاص عديدين هم السبب فى خصائى العام ، فخلع خصائص القدرة المطلقة الخيالية على المرأة ، ونسب إليها الدلالة والخصوبة ، ثم جرد ذكور عائلته والمقربين إليه من الدلالة ، فكان المدلول غائباً أو مبتلعاً فى رحم الأنثى المسيطرة التى لم يستطع منها فكاكاً إلا حيث سكن - أخيراً - عالم الإنكار عن طريق التعاظم من ضرب من الهوس الخفيف (الفوبيا) وتأخر بدنى واضح . ولم تتحقق له القدرة على استعمال الرمز اللغوى العام فى إطار المشاركة فى العالم الثقافى المعاش نظراً لارتهان اسم الأب ، الذى يعمل التحليل النفسى على فك هذا الارتهان ليجد مكاناً فى هذا العالم ، فكانت مشاركته فى العمل ، وتركه لعالم الضعف والسكينة ومحاولات تقاربه الفعالة من ذويه الإيجابيين.

ولقد أثارت هذه الحالة قضايا أبعد فى إيضاح دور الأم فى حدوث المرض النفسى ، وكيف يهيئ الوسط الاجتماعى الثقافى المسرح أمام التدخل العدوانى غير المباشر للأم - حيث الاستحواذ بالطفل ، ومايستتبعه من ارتهان للاستعارة الأبوية التى تنقل الكائن من مستوى الطبيعة إلى مستوى الثقافة . فمريضنا قد سار وفقاً لنصوص أنثوية مالكة للبن والقانون (صورة مقدسة قديمة للطبيعة التى تضطلع بالإمداد والحماية وأيضاً العقاب)، ولم يستشعر عجز الأم وافتقادها للدال الأصلى (القضيب) إنما راح يخلع عليها هذه الخصائص التى تمثل القانون والمثال والوعد . وكان الأب بمثابة وجوداً نفسياً غير فعال ، حيث ابتلعته الأم فلم يتحقق البزوغ الأولى للمعرفة عبر حرف (أ) ذلك مالم يستطع أن يكونه ، وليس ثمة أنا متحاورة مع آخر إلا على المستوى الخيالى - فلقد ظل نكرة ، يحمل الاسم العلم ، ولكنه لا يدرك أنه ينتمى إلى عالم اللغة المعرفى - فالأنا مغتربة - والاستعارة الأبوية مرهونة ، وحروف اللغة الأخرى متعثرة بين خصاء الحروف الذكرية ، وامتلاك حروف العلة للقوة والدلالة . ومن هنا، غابت الخصوبة اللغوية لغياب خصوبة الألف ، التى من خلالها يتم لقاح كل حروف اللغة الأخرى ليعيد إنتاجها كلاماً وفعلاً ، فغياب الخصوبة العقلية أتاح الطريق أمام الخصوبة البدنية ، فلقد تزايدت قدراته البدنية

وكأنك تحسبه عملاقاً ، ولكنه دون جدوى ، فالجبن والخوف والانطواء سبيله ، حيث يسكن بجوار استعارته المرهونة ، حيث كان خصاؤه النفسى ليظل رغبة أمه ، أو أداة طبيعية فى أيدى المرأة ، حتى إذا ماكان عالم الذكور والتعبير العدوانى عن الذات (كن ذئباً لا تأكلك الذئاب) حين التحق بالجيش كانت المطاردة ، وكانت الحاجة الماسة إلى ذلك القضيب المفقود لدخول عالم السيطرة ، فتمثل هؤلاء فى صورة القضيب المفقود ، الذى انبزغ هذه المرة من عالم الذكور تجاه عالمه اللغوى الأجوف ، ليكتشف عجزه عن استخدام الرمز وانسحابه من الصراع بالهذاء ، خلاصاً من الموقف المحبط . وكان هذا الهذاء تجسيداً لغياب خصوبة ذاته ، وارتهان اسم الأب ، حيث غابت أوديبيته ، وعندما جاء يحققها كان الأمر قد تأخر مما استلزم منه أن يهذى بالكلام الفارغ بغية امتلاء هذا الفراغ لتحقيق الهوية بعيداً عن التوحدات المباشرة بالأم .

ولعل استثمار محاولات المريض فى استعادة الرمز ومحاولته التعبير الأوديبى المتأخر أن يأخذه من أحضان الطبيعة الصامتة/ المتكلمة ، إلى أحضان اللغة الثقافية لإدراجه فى قلب النظام الرمزى ، وهذا مايتطلب رحلة من إعادة البناء عبر التحليل النفسى اللاكانى - وهذا ما سنعرضه فى تقارير لاحقة .

A Case study of a paranoid schizophrenic. The auther discuse the different psychoanalytical theories which give explanation of such syndrome.

The study starts by the orthodox Freudian thoery, and continue to examine the new interpretations and views of J. Lacan.

According to Lacan Paranoid schizophrenia express it self in lack of using symbols and symbolic thinking, in the situations where such ability is needed.

المراجع

١- درايدا ، چاك . ميتات رولان بارت (فى) چاك دريدا ١٩٨٨ . الكتابة والاختلاف . ترجمة كاظم جهاد . الدار البيضاء : دار توبقال للنشر ، ١٩٨٧ ، ط١ .

٢- زيادة ، مارى . اللسانية وخطاب التحليل النفسى عند چاك لاكان . مجلة الفكر العربى المعاصر . بيروت : مركز الإنماء القومى ، ١٩٨٣ ، ٢٣: ٥٧-٦٩ .

٣- عسكر ، عبد الله . الأوديبية بين الأسطورة والتحليل النفسى ، دراسة تحليلية ثقافية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠ .

٤- فرويد ، سيجموند . ملاحظات من التحليل النفسى على سيرة ذاتية لحالة بارانويا (الرئيس شريبر) ، ١٩١١ . (فى) سيجموند فرويد : خمس حالات من التحليل النفسى . ترجمة صلاح مخيمر ، عبده رزق ، مراجعة وتقديم مصطفى زيور . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ط٢ .

٥- فينخل ، أوتو . نظرية التحليل النفسى فى العصاب ، ١٩٤٥ . ترجمة صلاح مخيمر ، عبده رزق . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ط٢ .

٦- كريستيفا ، جوليا . اسم موت أو حياة ، ترجمة صبحى البستانى . مجلة الفكر العربى المعاصر . بيروت : مركز الإنماء القومى ، ١٩٨٣ ، ع. (٣) ٧٠-٧٧ .

٧- ليفى شتراوس ، كلود . الإناسة (الأنثروبولوجيا) البنيوية ، ١٩٧٢ . ترجمة حسن قبيسى . بيروت : مركز الإنماء القومى ، ١٩٩٠ ، ط١ .

8- Abraham, K. A Short Study of the Development of the Libido, Viewed in the Light of Mental Disorders, 1924. Part 1: Manic-Depressive States and the Pre-genital Levels of the Libido. Selected Papers of Karl Abraham, New York, Basic Books, 1953, 418-433.

9- Dewaelhens, A. Preface to Demoulin, Notions de Psychiatrie Phenomenologique, Cited by, A. Lemaire, 1970, in this list.

10- Ferenczi, S. On the Part Played by Homosexuality in the Pathogenesis of Paranoia, 1912. In, Sex in Psycho-Analysis, New York, Basic Books, 1950, 154-184.

11- Freud, S. The Ego and the Id, Standard Edt. of Sigmund Freud, London, The Hogarth Press and the Institute of Psycho-Analysis, 1923.

12- Frosch, J. The Role of Unconscious Homosexuality in the Paranoid Constellation, Psychoanalytic, Q. 4, 1981, 587-613.

13- Klein, M. Notes on Some Schizoid Mechanisms, Inter. J. of Psychoanalysis, 1946, 27 : 99-110.

14- Lacan, J. On a Question Preliminary to Any Possible Treatment of Psychosis, 1956. Cited by John Forrester, The Seductions of Psychoanalysis, Cambridge University Press, 1990.

15- ______ . The Function and Field of Speach and Language in Psychoanalysis, Trans, by Wilden, A., Johns Hopkins University Press, Baltimore, 1968.

16- ______ . The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis, 1973. Trans. From French by Alan Sheridan, Ed. By Jacques Alan Miller, London, The Hogorth Press, 1977.

17- Lacan, J. The Mirror Stage as Formative of the Function of the "I", in Ecrits, A Selection, London, Tavistock Press, 1977.

18- Leclaire, S. A Propos de L'episode Psychotique Que Presenta L'homme Aux Loups, 1957. Cited by A. Le Maire 1970 in This List.

19- --------------- . A La Recherche Des Prinicipes D'une Psychotherapie Des Psychoses, Evolution Psychiatrique, 1958. Cited by A Lemaire 1970 in This List.

20- Lemaire, A. Jaques Lacan, 1970. Trans. To English by David Maccy, London, Routledge & Kegan Paul, 1977.

ملحق الدراسة

استجابات المريض على اختبار تفهم الموضوع وتفسيرها

البطاقة1 :

صبى فى العاشرة من عمره كان غير ذكى فى الدراسة أو بمعنى آخر غير موفق فى الدراسة فأحضر الكمان (آلة موسيقية) وعزف عليه بطريقة تعهانه ثم تذكر أنه لا يحصل فنام عن خاطر نفسه وكسر الكمان واستغرق فى النوم .

هذا الطفل مصاب نفسياً وهو الآن فى الصورة التى أمامى أمامه آلة موسيقية مكسور فيها الجزء الأساسى لإخراج الصوت والمطلوب منه كتابة ملاحظاته عن الآلة الموسيقية التى أمامه. وسوف يكتب ملاحظاته كما يلى :

١- وصف خارجى للآلة .

٢- حزنه الشديد للشئ الذى أصابه .

٣- ماذا لو كان هو الذى كسر الآلة . (سوف يقوم بإصلاحه على حسابه الخاص) .

وأثناء الوصف وكتابة ملاحظته غرق فى النوم وهو الآن يحلم فى عالم آخر غير الآلة التى أمامه .

التفسير :

تكشف بداية الاستجابة عن رغبة المريض فى تحقيق القدرة الجنسية على مستوى الدلالة ، ولكن لا يتحقق له ذلك إلا إذا كان غبياً ، بمعنى أن يخلى عقله الطريق أمام ظهور القدرة والخصوبة ، وعلى الرغم من ذلك فإنه يفشل فى مواصلة الاستمناء ويستغرق فى النوم هارباً .

وفى الجزء الثانى من الاستجابة تكشف عن استبصاره بمرضه واعترافه بالخصاء اللغوى ، حيث يستطيع العزف (خيالياً) ولكن بدون صوت ، وهذا ما يؤكد ارتهان الاستعارة الأبوية التى تحقق للفرد القدرة على التجاوز واستخدام الرمز ، ولذا فهو بمثابة متفرج فى عالم الرموز ، يشعر بالحزن لحالته ، يفتقد القدرة على العبث بالطبيعة ، ويعجز عن التجاوز لمستوى الآخر اللغوى المرهون .

البطاقة2 :

صورة لإحدى نوازل المستشفيات الخاصة بعلاج النفس والزى واضح عليها حالة ذهول من المنظر الحقيقى (تماثيل) تمثال لشخصية ريفية وفلاح فى مزرعته . وهى فى طريقها إلى العلاج من انفصام فى الشخصية لمحت الريفية وركزت عينيها على تلك الفلاحة ولم يسترعها عنصر الحركة فى فن النحت للفلاح بقدر ما أبهرتها سكون الفلاحة . وهى الآن تفكر فى مدى نظرى بعيد يحيق بمركز البصر فى المخ على تلك الفلاحة بغض النظر عن شرود عينيها عن كونية التمثال .

التفسير :

توحد المريض بالأنثى الشابة والتى عكس من خلالها هلاوس بصرية مؤداها أن الآخرين تماثيل سواء كانت صورة الأم أو صورة الأب - إذ انغلق الوجود الفعال لصورهما فى مخيلته ، فراح يجمدهما تماماً ، ولم تكن هناك اهتمامات بدور الأب الفلاح ، مع مؤشرات الخوف من صورة الأنثى عموماً (كونية التمثال) تلك الساكنة الراسخة ، والتى تخيفه لا شعورياً ، فهى الأم الخاصية .

البطاقة4 :

تدل هذه الصورة على محور التفكير فى شئ واحد وهل هناك تعارض بين الحالة ومثيلتها؛ فالأولى (الآنسة) تبحث عن نفسها فى شخصية أنديرا غاندى أما الشخص (الشاب) الآخر فهو يمثل عن إحدى نجوم السينما العالميين .

والمحلل النفسى الحياك لصنعته هو الذى يفرق بين الصورتين هل الحالة واحدة أو متطور فى إحداها دونما الأخرى .

والذى يتراءى للظاهر فإنها صورة من مشهد تمثيلى للحب ، فهى تحاول أن تهدئ من روعه لشدة حباله ، وهو يريد أن يتخلص من كل من يحاول الاقتراب منها .

وفى هذه اللقطة أو اللمحة الأخيرة فى سبيله لاقتناص شاب آخر كان يداعبها ؟

التفسير :

تكشف الاستجابة عن التطابق الذهانى بين الأنوثة / الذكورة - حيث اضطراب الهوية الجنسية ، مع مؤشرات العظمة والسلوك التلاعبى للأنا كدفاعات ضد العجز لإلقاء التبعة على

المحلل - إذ يمثل المحلل الرمز المفقود ، وتمثل الأنثى (الأنا) أو الدال ويمثل الشاب المدلول أو الذات . ونظراً لاضطراب استخدام الرمز ، فهو قد اضطرب فى استخدام الدال والمدلول ، فكل استجاباته على مستوى مدلول واحد متقلب ومتعدد ، أما الدال فهو خيال ، إذ تنحصر العلاقة بين الأنا الصغرى - وموضوعها على المحور الخيالى .

أما الجزء الثانى من القصة فهو محاولة لاستعمال الرمز فثمة أنا وموضوع ، ثمة صراع وغيرة ، ولكنها تفضى إلى المرض ، حيث هو مشهد تمثيلى (خيالى) ، فما زال يداعب الموضوع المتخيل فى محاولة لبعث الاستعارة الأبوية من مرقدها ، ولكنه لم يستطع فراح يطارد المعتدى السرابى أو العدو المتخيل المتعدد ، ثم يستعير صورة المفترس لشاب آخر ، لأنها تحبه . ولم يوجه لها مشاعر الاضطهاد إنما راح يضطهد الذكور، ذلك الانغلاق الكامل مع الأم كدال مسيطر على مقدرات رموزه .

البطاقة5 :

هذه صورة لإحدى سيدات عالم الصورة وهى كانت نزيلة أحد السجون إلا أن حالتها الصحية تدهورت فهى الآن فى طريق الخروج من السجن إلى المستشفى تحت السيطرة والحرس . أما عن الصورة فهى صورة لصورة والترابيزة تتداخل مع الصورة الأصلية لكى يوضح للمحلل ماهو السبيل التى هى فى طريقها إليه .

وهى مريضة مرض نفسى لا أعلم . والله أعلم إن كانت حالتى مثل تلك السيدة .

التفسير :

كرر المريض كلمة صورة ست مرات مؤكداً الاستخدام الذهانى للغة ، حيث يزيد التكثيف (الاستعارة) والنقل (المجاز المرسل ذو العلاقات الجزئية والكلية) ، أما الدال الرئيسى للقصة فهو عدوانية الأم ، حيث الحكم عليها بالجريمة ، وهى فى الوقت نفسه تشير إلى رغبة المريض فى التحرر من هذه الصورة الشريرة فيسمها بالمرض ، مؤكداً التطابق بين الدال والمدلول ، واضطراب العلاقة بالآخر بصفة عامة حيث تسد صورة الأم الطريق أمام الذات ، وليس هناك من قدرة تعبيرية إلا من خلال الذهان .

البطاقة 7BM :

هذه الصورة طبيعية لشخصين ، أحدهما فى عمر والآخر فى عمر ، ويختلفان كل الاختلاف عن بعضهما ، والمرض النفسى واحد . إلا أن الحالتين متطابقتان إحداهما على الأخرى .

ويوجد فى دمائهما كميات نشيطة واحدة .

ندخل إلى جو الشخصين لنجدهما كلاهما قد تعرض لظروف نفسيه قاسية كأن رأى شيئا غير محتمل وقوعه كحادث سيارتين أمامه ، فهو لا يؤمن بأن الحوادث قضاء وقدر ، وغير متصور درجة هذه الحادثة فى المخ . فحدث له انبهار كاذب كأن ينجو أحد الركاب من الحادث . والآخر مثله نفس الشئ تعرض لحادث أليم ليس فيه ولكن لأناس آخرين .

التفسير :

تؤكد الاستجابة غياب الصراع الأوديبى أو الاستعارة الأبوية حيث الارتهان الأولى لاسم الأب . فالشخصان يختلفان فى العمر ، ولكنهما مريضان بمرض نفسى واحد يصل لدرجة التطابق، حيث تم ابتلاع الصورة السلبية للأب ، فالأنا الآخر (المتخيل) ليس سوى موضوع قد تم خصاؤه أيضاً ، أما الحادثة التى حدثت للأول فهى حادثة الخصاء المطاردة لفضائه اللغوى ، وأما الآخر الأكبر فقد حدثت له نفس الحادثة ولكن على مستوى المشاركة ، فالذات لم تتواصل لاشعورياً مع الأخر الأكبر كى يتحقق الأوديب ، حيث ارتهن الرمز الأوديبى برمته .

البطاقة 8BM :

طالب فى كلية الطب داخل المشرحة ، ويحاول أن يتذكر إحدى صديقاته فتتذكر منظر إحدى اللوحات فى المشرحة ، فأخذ خياله يشطح فى تلك الصورة الحقيقية ، وازداد العقل نشاطاً مع ذكر موقفه من حبيبته فازدادت شدة رؤيته للصورة أمامه فى المشرحة .

التفسير :

جاءت الاستجابة على مستوى الاستعارة على المستوى المتخيل ، حيث لا تتحقق له رؤية البدن إلا فى المشرحة ، فلا خبرة له بالتعامل مع البدن الأنثوى ، وثمة خوف يسكنه من صورة الأنثى (بدنيا) ، حيث الخوف من الصورة الشريرة للأم ، ولذا فهو يستخدم الخيال لتحطيم ذلك البدن عبر تحقيقه لهوية ذكرية هشة قد تكون فى طريقها إلى التكامل الرمزى .

البطاقة 10 :

الصورة العليا لشكسبير نائم ، أما الصورة التالية لها فهو حالة هيام مع من يحبه سواء رجل أو امرأة ، ويحاول جاداً أن يظهر أكبر شئ من الحنان والرقة مع محبيه .

التفسير :

تكشف الاستجابة عن المحاولة المرضية لاستنهاض اللغة فى صورة شكسبير (أحد رواد الرمز وإنتاج اللغة) ، ولكنه هنا نائم - حيث يكون الارتهان ، فيعود إلى التعبير الخيالى العاجز ، فهى صورة هيام مع من يحبه ، رجل أو امرأة ، حيث اضطراب الهوية الجنسية والتعبير الازدواجى وخلط الدال بالمدلول وعجزه عن استعمال العلامة اللغوية.

البطاقة 12M :

أحد السادة المرضى ، الذين ظهر لهم باع طويل فى العلاج فى المصحات النفسية ، دخل على أحد المرضى ، وقد سرق سماعة طبيب ، ودخل فى كل تؤدة وبراءة ، وأخذ فى سبيله لإلقاء الكشف الطبى اللازم لمرضاه . وفى الحقيقة أن الملقى على السرير غارق فى النوم وأثناء نومه يحاول الطبيب المزعوم من قبل نفسه بإصدار توصياته إلى المريض ومايجب عليه فعله وسماعه التعليمات الصادرة ومتابعة التنفيذ بدقة .

التفسير :

يحاول المريض بناء الاستعارة الأبوية من جديد أو استدعاء المرهون ، بيد أنه فى لعبه لدور الدكتور ، تلك اللعبة الطفلية التى تسود فى أعمال الوقف الأوديبى من ٣-٦، إنما تمثل محاولة إعادة الدور وبناء العلاقة اللاشعورية بين الذات والآخر الأكبر ، ولكن الذات اللغوية ، غارقة فى النوم ، وتبقى العلاقة فى إطار المحور المتخيل .

البطاقة 13MF :

أحد الناس العاديين نائم فى غرفته وعندما استيقظ وجد فتاة ملقاة بجانبه على السرير وحتى الآن لم يرها فنام مذعوراً فى طريقه إلى الحمام ويدعك فى عينه ليتيقن حقيقة أمر ذلك الحادث الأليم لنفسه جداً وهو يتأمل فى تلك اللحظات العسيرة كيف تلاقت هذه الفتاة بزراعه وهو نائم وهل حدث شئ يسئ إليه أم لا كل ذلك يتوارد فى ذهنه لحظة وضع يده على عينيه حتى يتبين الأمر بدقة .

وإذا حدث أمر خارج عن إرادته كأن تكون قد حدث مالايحمد عقباه فهو لا يصدق ولكن فكره فى كيف وصلت لهذا المكان البعيد .

التفسير:

استعار المريض أحد الناس العاديين ليعيش الخبرة الجنسية المتخيلة ، حيث ظهور موضوع جنسى ، هذا الظهور الذى يشكل له حدثاً صادماً ، كما أن الأنثى هى صاحبة المبادرة فهى التى سعت إليه ، وهى صورة محارمية حيث مازال فى تبعية بالنسبة للأم جنسياً وانفعالياً ، فلا من سبيل للتعبير الجنسى أو استعمال الدلالة ، إذ يستخدم أسلوب التورية - فالحدث هو مالا يحمد عقباه - تلك المخاوف الشديدة تكشف عن محاولات خيالية لاجتياز حاجز المحارم وتكوين الاستعارة الأبوية ، حيث تسربت الرغبة إلى حيث يكون اسم الأب المرهون فى تساؤله « كيف وصلت إلى هذا المكان البعيد ؟ » .

البطاقة 18BM :

فرد عادى معجب بنفسه يمشى فى طريقه إلى المنزل كالعادة ويخرج عليه إحدى ظاهره أن أحد الناس يخادع زميله ويحاول أن يصنع معه موقف مضحك أو مبكى بأى طريقة كانت فكانت النتيجة أن صاحب الصورة لم يبالى تلك الحركة التى صنعها له صديقه .

التفسير:

استخدم المريض أسلوب المجاز فى استعارته - على نحو نرجسى - الآخر العادى المرتسم فى خياله ، والذى يحاول أن يحرك الجنسية المثلية الكامنة التى تكون عادية لدى الأسوياء فى إطار العلاقة باللغة والأدب والنكتة ، حيث العلاقة الرمزية بين محور S-A. (انظر شكل ١) ولكنه فى الوقت نفسه لا يبالى بهذه العلاقة الناشئة .

البطاقة 19 :

صورة لإحدى المساكن من الداخل وقام أحد الناس بوضع رتوش على الصورة توحى بقصة خيالية أو غير خيالية ولكن من وحى خيال واضع الرطوش فى الصورة ولكن ممكن أن نفسر الصورة كأحداث لفيلم أو غيره .

التفسير:

تكشف الاستجابة عن تشويه عناصر الذات حيث الارتهان الرمزى ، فثمة أحد الناس (كناية عن الأم) التى أعاقت الطريق أمام ولوج المريض فى منظومة اللغة والنظام الرمزى ، حيث توحى موضوعاته « بقصص خيالية أو غير خيالية » وهى « خيال واضع الرتوش » مثلما يكون عالم السينما ؛ فالشاشة العقلية التى ترتسم عليها صورة الشئ قد أصابها التشويه الباكر لعالم الموضوعات ، حيث أدى ذلك إلى ظهور التعبير الذهانى المشوش وغياب الرمز العام .